القسم السادس

معجم مصطلحات فلسفة ميرلوبونتى
عربى / فرنسى

رشيد دحدوح

إذا كانت مهمة الفلسفة هـى بالأسـاس إنتاج المفاهيم وإبداعها، كـما يرى «جيل دولوز G. Deleuze» فإن كل فلسفة مهما كانت يجب أن يكون لديها جهازها المفاهيمى الخاص الذى يترجم إشكالاتها ، ورؤاها النظرية، وتشكيلاتها الاصطلاحية. إن ذلك، لا شك، يترجم من ناحية أصالة تلك الفلسفة وقدرتها على تمثل الواقع وإشكالاته تمثلاً يؤدى بها إلى إبداع مفاهيم واصطلاحات ملائمة لقراءته وتفسيره؛ ويعنى من ناحية أخرى استقلال تلك الفلسفة كرؤية ونظرية وتمثل عن بقية الفلسفات الأخرى سواء كانت المجاورة أو المناقضة.

إن الجهاز الاصطلاحى والمفاهيمى الذى يهيكل فلسفة «ميرلوبونتى» معقد وأصيل: معقد لأنه يتغذى من فلسفات سابقة ويستعير مفاهيمها مثل الوجودية والظاهراتية ، أو الظواهرية، وخصوصاً كما تصورها «هوسرل» ، وأصيل لأنه يعبر عن تحليل فلسفى ثاقب وفهم عميق يتجاوز النماذج الفلسفية والفكرية الكلاسيكية والحاضرة، بل إن ميرلوبونتى حتى عندما يستعير بعض المصطلحات من الوجودية والظواهرية يعطيها محتويات ومضامين جديدة أو على الأقل يقرأها قراءة جديدة.

وعلى أساس ذلك يمكن أن نميز فى اصطلاحات ومفاهيم «ميرلوبونتى» مجموعتين: مجموعة أخذها «ميرلوبونتى» عن سابقيه خصوصاً منها الظواهرية عند «هوسرل» بل حتى الديكارتية منها رغم انتقاده «ديكارت» فى مواضع شتى خصوصاً فى مفهوم الكوجيتو «Cogito» ؛ لذلك أشرنا سابقاً إلى أن «ميرلوبونتى» يعطيها محتوى جديداً فمثلاً يرى فى «الكوجيتو» تمثلاً للظاهر (العالم الخارجى) فى الباطن (الأنا) أو (Le je) وفى نفس الوقت إظهاراً للباطن وإخراجه إلى العالم الخارجى،

بمعنى أن اللامرئى يلبس ثوب المرئى؛ وهذا الأخير يجد قاعدته وأساسه، بل وحتى معناه، فيما هو غير مرئى أو غير منظور. أما المجموعة الأخرى؛ فهى تلك التى ينحتها «ميرلوبونتى» نحتاً وأبداعها من محض فلسفته وفكره؛ وهى الأصعب؛ حيث يعترف «ميرلوبونتى» ذاته أن مفاهيمه إذ تعبر عن أمور لا مرئية أو ما قبل فلسفية فهى تستعمل المجاز والاستعارة أو الكناية لأن اللغة العادية أو حتى الفلسفية لا تعبر عما يريده ميرلوبونتى، لذلك فإننا أولا: لا ندعى أننا أحطنا بجميع مصطلحات ميرلوبونتى؛ بل انتقينا بعضاً من المجموعتين فقط؛ ونعترف أننا قصدنا الأبسط منها فى غالب الأحيان. وثانياً: صعوبة ترجمة تلك المصطلحات أو تمثلها كما هى، لذلك عمدنا غالباً إلى شرحها شرحاً قد لا يكون وافياً أحياناً، أو هو ذاته يعتريه بعض الغموض ، فإن ذلك ناتج عن طبيعة الموضوع، مع الوعد بأننا سندققها مستقبلاً فى قراءات أخرى أو طبعات منقحة لهذا العمل.

بقيت فقط الإشارة إلى الرموز الموضوعة بين قوسين مع رقم الصفحة والتى تحيل إلى المصدر الذى جاء فيه المصطلح أو المفهوم ، وهى فى المتن كالتالى:

(CN) LA Nature. Notes, cours du college de France (seuil)1995 .

(EP) Eloge de la philosophie (Gallimard, 1953et 1960).

(P) Le primat de la perception et ses conséquences philosophiques (Cynara, 1960).

(PM) La prose du monde (Gallimard, 1969).

(PP) Phénoménologie de la perception (Gallimard, 1945).

(S) Signes (Gallimard, 1960).

(SC) La structure du comportement (PUF,

(SNS) Sens et non – sens (Gallimard, 1996).

(VI) Le visible et l'invisible (Gallimard, 1964).

هذا ولقد استعنا في ضبط وشرح هذه المصطلحات بكتابين هما:

I. Pascal Dupond: Merleau–Ponty, coll. « Le vocabulaire de », Editions ellipses, 2001.

II. Renaud Barbaras: Merleau–Ponty. éditions ellipses, 1997.

الإدراك : Perception :

يرفض ميرولوبونتى النظرة العقلية التى تجعل الإدراك يتوقف فى جوهره على أفكارنا وذكرياتنا وتصوراتنا السابقة ، أى أن الرؤية الحسية هى رؤية عقلية لأن إدراكى للشىء هو تعرفى على الأفكار والتصورات المطابقة له فى ذهنى. كما يرفض النظرة الواقعية التى تختزل الإدراك فى ظاهرة موضوعية تحدث فى الطبيعة عن طريق التقاء موضوعات خارجية مكتملة التكوين وآلة تسجيل تستنسخه كما هو.

إن ميرولوبونتى يعيد طرح مشكلة الإدراك من زاوية مغايرة ، حيث يعتبره وسيلتنا الأولى فى الانفتاح على العالم الخارجى والاتصال به : إنه اندراجنا فى العالم، وفى الطبيعة. والإدراك «ظاهرة أصلية»؛ لأنه يقوم على الطبيعة التى هى قاعدته الأساسية ، وعلى التاريخ الذى هو أساسه لأنه هو الذى يحول الزمان الطبيعى إلى زمان تاريخى، وبالتالى يحقق معنى الوجود لكل كائن يمكن تصوره: «لا نستطيع أن نفهم شيئاً إذا لم يكن مدركاً أو قابلاً للإدراك «(PP370). إن الإدراك ظاهرة أصلية لأنه نقطة البدء لكل النشاطات والمعانى، ومن دونه من غير الممكن أن نتصور أياً كان؛ فنحن لا نتصور ولا نفهم إلا ضمن مجال إدراكى، وكل ما لا يقع ضمن هذا المجال لا يمكن إدراكه.

هذا ويحلل ميرلوبونتى الإدراك من حيث اعتباره ظاهرة أولية تمثل اتصالنا الأول بالعالم، فيرى أن الإدراك فى حد ذاته ظاهرة تعبيرية أولية أو هو «طبقة أولى من التجربة» تتعلق بكائنات موجودة فعلاً فى زمان ومكان محددين فى مقابل المفهوم أو الفكرة (VI 209) . لقد كان اهتمام ميرلوبونتى فى سنة ١٩٤٥ موجهاً أساساً إلى محاولة بيان أن المثالية التى اخترعت اللغة للتعبير عن نفسها وعن العالم لا تستطيع أن تتخلى عن قاعدة حسية أو إدراكية تقوم عليها، لأن اليقين العقلانى لا ينفصل تماماً عن اليقين الحسى . . أما فى النصوص الأخيرة فقد ذهب ميرلوبونتى إلى حد إدماج المثالية فى صلب الحياة الحقيقية للتجربة ؛ أى ربطها مباشرة بالإدراك والإحساس.

التاريخ : Histoire:

قبل أن يكون التاريخ معرفة متعلقة بالوعى الموضوعى والعلمى للماضى ، فإن التاريخ، حسب ميرلوبونتى ، يمثل بنية أساسية للمجتمع، حيث يُمكِّننا التاريخ عن طريق وضعنا من الاتصال مع الإنسانية جمعاء تعاقباً وتزامنا(PP415) . فالمؤرخ يقوم برفع جزء من معايشتنا للماضى فى الميدان الاجتماعى إلى درجة المعرفة على أساس وجود قرابة بين الحوادث التاريخية تجعلها مفهومة (SNS113) . . لكن هذه العلاقة المعرفية بالتاريخ ليست منفصلة عن الممارسة «Praxis» أي عن التاريخ كمعايشة، بحيث لا نصبح مجرد متفرجين على مسار الحوادث التاريخية وهى تتعاقب أمامنا، بل فاعلين «Acteurs»، لأن التاريخ بالنسبة لنا ليس معطى مكتملاً ، بل هو مسار مفتوح ونحن نشارك فيه (HT 99).

إن التاريخ كممارسة يعنى أن الإنسان بوصفه مصدراً لإنتاجية ما وخصوبة معينة يشكل حياته ويمنحها معنى (PP200) بواسطة الممارسة الحية لحريته . وبهذا فالتاريخ من منظور ميرلوبونتى ليس قوة غريبة أو مستقلة عنا تملكنا وتوجهنا حسب غايات تخصها (PP512) ، بل هو متعلق أساساً بالإنسان والمجتمع فى آن معا. إن ما يعطى معنى للتاريخ، حسب ميرلوبونتى ، يكمن فى كون التصرف الإنسانى هو فى نفس الوقت عمومية «Généralite» ، وكذلك حرية فى قبول أو رفض وضعية ما أو تحويلها أو دفع الإكراهات. . هذا ويؤكد كذلك ميرلوبونتى فى موضوع التاريخ على أن التاريخ ليس تعاقباً فقط «Succession» ، بل هو كذلك تزامنية؛ فتاريخ الإنسانية ليس هو التاريخ الإمبيريقى والمتعاقب، بل هو وعى الصلة الخفية التى تجعل أفلاطون حياً معنا (SNS 115) . إن التاريخ ليس «مساراً، أو سلسلة حوادث مرئية، ولكنه تاريخ قصدى أو «عمودى (SNS83)».

التفتح Déhiscence :

إن هذا المفهوم يعنى عادة فى علم النبات تفتح عضو بلغ النضج، لكنه غدا

مفهوما له معنى فلسفى ضمن البنية المفاهيمية لفلسفة ميرلوبونتى وخصوصاً فى النصوص التى كتبها فى آواخر حياته.

إن تصور صلتنا بالوجود كانبثاق déhiscence يعنى رفض الموقف الذى تدعيه أنطولوجيا الموضوع ؛ والذى بحسبه تكون كل صلة بالوجود خاضعة لثنائية: إما انفصال ولقاء، وإما التصاق وانفتاح extériorité . وبالتالى فهو يتصور الصلة بين الموجود الناظر والموجود المنظور كهوية واحدة ضمن الاختلاف.

التقاطع: Chiasme

مصطلح خطابى يستعمل للدلالة على معان مضادة للفهم الشائع، ويدخل ميرلوبونتى هذا المصطلح كلما أراد التفكير ليس فى الهوية ولا فى الاختلاف ، لكن الهوية فى اختلاف الحدود التى تؤخذ عادة على أنها متقابلة مثل الناظر والمنظور، الإشارة والمعنى، والداخل والخارج، فكل واحد ليس «هو» إلا إذا كان «الآخر».

إن هذا المصطلح يوضح الحقيقة الفينومينولوجية المتعلقة بالتفرقة بين المعنى المتعلق بالجوانية (الداخل) والمعنى المتعلق بالبرانية (الخارج) ، مع عدم قبول اعتبارهما منفصلين أو يمكن فصلهما. فمثلا هناك تقاطع «Chiasme» بين الكلام «La parole» بوصفه «صمتا» أو شيئاً بسيطاً وموضوعاً للإدراك، والكلام بوصفه يحمل دلالة ويعبر عن الفكر ، مما يجعل الانتقال عبر برانية التعبير هو السبيل الوحيد نحو بلوغ جوانية الفكر.

فالتقاطع «Le Chiasme» فى اللغة يشير إلى الباطن والظاهر فى تعلق أحدهما بالآخر؛ فهناك تقاطع بين «الذات» و«الغير» ؛ فالأول ليس جوانيه خالصة، كما أن «الغير» ليس توجها خالصاً نحو البرانية، بل هما وجهان لعملة واحدة؛ ولهذا فالصلة مع الغير أو مع نفسى هما متواقتان ومترابطان ؛ فمثلاً العدوان «L'Agression» هو فى حقيقة الأمر «مازوشية» لأننى أعذب ذاتى فى الآخر؛ وأعذب الآخر فى ذاتى، وهناك تقاطع بين الوجود والعدم: فعدم الذات ليس إلا الجانب الآخر غير المرئى من المحور الذى يشدنا للأشياء والأفكار (S29) بحيث

لا يوجد كائن أو شيء إلا وهو محمول على قاعدة عدمية ، كما لا عدم إلا وهو محمول على قاعدة لموجود. . وأخيراً هناك تقاطع بين الفلسفة وعالم الحياة: فالفلسفة متضمنة فى عالم الحياة؛ وهى التى تفهم هذا العالم وتكشف عنه (VI224).

الجدل Dialectique :

يسمى ميرلوبونتى جدلاً: أولاً، الحياة، أو حركة الفكر التى تجسد الانتماء المتبادل والانتقال من هذا الانتماء إلى ذاك، بحيث يعتبرهما الفهم متقابلين مثل الذاتى والموضوعى، الإيجابى والسلبى، النهائى واللانهائى، لكن دون أن يكونا قابلين للتقسيم أو الفصل. وثانياً ، الحياة أو حركة الكائن أو الواقع فى انتمائه وانتقاله من هذا إلى ذاك؛ وبالتالى: «فإن المسألة لا تكمن بتاتاً فى معرفة ما إذا كان الجدل فى «الأشياء» أو فى «الوعى» فهما ضد الجدل فى الحقيقة؛ لأن ما هو جدلى هو الوسط الذى يمارس فيه الجدل، أى أن العلاقات هى الجدلية وليس الوعى أو الأشياء (VI 126-130).

الجسد La Chair :

إن مفهوم الجسد عموماً عند ميرلوبونتى غير بعيد عن المفهوم الشائع له، لأنه ذو علاقة وطيدة بما تسميه الفينومينولوجيا بـ «الجسد الحى» Corps vécu أو «الجسد النشط Corps Animé» ، أى ذاك الذى يدرك ولا يتحرك ، يرغب ويعانى . لكن هذا المفهوم يبتعد عن المفهوم الشائع للجسد حين ينظر إليه لا من زاوية التفريق بين الجسد كذات والجسد كموضوع ، ولكن من زاوية الاندماج المشترك للجسد الناظر (من النظر) والعالم المنظور (أو المرئى) مأخوذين كوحدة لا يمكن انفصامها، فالجسد إذن يترجم بالأساس وحدة الكائن كـ «ناظر - منظور» Voyant - Visible .

هذا ويذهب ميرلوبونتى إلى أبعد من ذلك فى المفارقة التى يمثلها جسدنا: أولاً، من حيث كونه ذو واجهتين أو طبقتين، فهو من جهة: « شيء مثل بقية الأشياء؛ وهو من جهة أخرى الذى يراها ويلمسها (VI P180) « أى أنه منظور وناظر، «جسد

فينومينولوجى» و «جسد موضوعى». وثانياً، من حيث كونه كائناً ذو أعماق وأغوار متعددة الأوجه ؛ فهو سطح وعمق، مرئى وغير مرئى، واقعة و«ماهية شهوانية»، جسم مادى متحيز فى الفراغ ذو بعد حتمى ميكانيكى وماهية عميقة تلتهب حياة ذاتية وتفردا، وثالثاً، من حيث كونه لا ينفصم عن العالم؛ أى أن الجسد والعالم لا ينقسمان رغم أنه ضمن إحساساتنا يمكن تمييز تلك المتعلقة بالعالم بصفة عامة وبالجسد بصفة خاصة . . إن موضوع تفكير أنطولوجيا الجسد هو الصلة بين الجسد الناظر (أى جسدى) وجسد المنظور ، ، أو المرئى، (أى العالم)؛ لا باعتبارها صلة بين ذات - موضوع، بل باعتبارها صلة توافقية وتوليفية متبادلة حيث الجسد يلف العالم؛ لأن هذا العالم يتراءى لنا كإدراك؛ ويلف الجسد، لأن هذا الجسد ليس سوى شيئاً من أشياء العالم. وهذه الانعكاسية (من العالم إلى الجسد ومن الجسد إلى العالم) تتشابك وتتمظهر بأوجه متناقضة: « إن جسدى متضمن فى المشهد العام لأنه شىء منظور (مرئى) . لكن جسدى الناظر يلف هذا الجسد المنظور (المرئى) وكل المرئيات معه (VIP182) ».

هذا والجسد - حسب ميرلوبونتى - لا نجد له أثرا فى مصطلحات الميتافيزيقا؛ ولا فى أى فلسفة، فهو لا يقبل الرد إلى أى مقولة ميتافيزيقية ، لأنه ببساطة : «ليس مادة، وليس روحاً، وليس جوهرا «VIP184» وليس تركيباً بين جسد وروح.

إن مصطلح الجسد عند ميرلوبونتى يقابل مصطلح «LEIB» عند هوسرل، ويقصد به «الجسد الحى» (النشط) فى مقابل «الجسد الموضوعى» ؛ ويطلق عليه تسميات عدة منها: « الجسد الخالص» «Le corps propre» «والجسد الظاهرى» «corps Ph´enom´enal».

الجسم: Corps

فى كتابه «فينومينولوجيا الإدراك» يميز ميرلوبونتى بين «الجسم الموضوعى» ؛ الذى يوجد مثلما يوجد أى جسم مادى أو مثل جسم الحيوان القابل للتحليل والتفكيك إلى عناصر ، و«الجسم الظواهرى» أو «الجسم الخاص» والذى هو فى نفس

الوقت (أناى Moi) و (ملكيتى Mien) ، أو هو برانية لجوانية (ظاهر لباطن) وجوانية لبرانية (باطن لظاهر) . وبعبارة أخرى، الجسم هو نقطة الالتقاء بين الطبيعة الآلية (الحتمية) والحرية المبدعة المبتكرة ، وبالتالى فهو جسم منتج لمعنى يوزعه على محيطه، وصانع للزمان وليس خاضعاً لتأثيراته (PP 267 - 268).

الحرية : Liberte

إن الحرية عند ميرلوبونتى جزء أساسى من تكوين الذات أو الأنا. وهو ينطلق فى تصوره للحرية من نقد مفهوم الحرية عند «سارتر»؛ الذى يرى أن الحرية هى حرية الحكم بالإثبات أو النفى، أى حرية صورية معرفية، غير متعلقة بالعالم ولا ملتزمة بقضاياه ، لذلك يرى ميرلوبونتى أن الحرية بهذه الكيفية غير خصبة وتكرارية «Tautologique» : إنها لا تبدع شيئاً؛ إذ لا تستطيع إلا أن تكرر فراغها. وفى مقابل حرية الفراغ هذه يجب أن نضع الحرية الخصبة ، تلك التى تواجه فى أفعالها معانى مفتوحة وغير مكتملة (AD 264).

إن الحرية عند ميرلوبونتى هى تلك القدرة على التراجع إزاء وضعية ما تصادفنا فى العالم، حيث تعكس الحرية فينا قدرة على التراجع إزاء واقع معين. لكن تبقى حرية الفرد مرتبطة بالزمان لأنها تمارس ضمن إطار زمانى؛ فالحرية تعانق الحوادث التاريخية والطبيعية وتسير معها، وهى تملك القدرة على إعطائها بعداً شخصياً يجعلها فى متناول الفرد؛ وذلك قصد تعديلها أو تحويلها. وهنا يؤكد ميرلوبونتى على أننا لسنا دوما أدوات طيعة فى يد القوى الطبيعية الميكانيكية والصيرورة التاريخية، بل يمكن أن نعانق هذه القوى ونحوّل ، أو نعدّل عجلتها ونبقى دائماً متميزين عنها لأننا نملك القدرة على التراجع (PP277).

الحقيقة Verite :

بخلاف المذهب المثالى الذى يموقع الحقيقة فى عالم المثل وينفى أن تكون فى العالم الحسى المدرك، يرى ميرلوبونتى أن وصف إدراك العالم هو الذى يؤسس فكرتنا عن الحقيقة؛ فالحقيقة تتمظهر فى ثوب الكلام «La parole» ، والكلام يعبر

عن حقيقة مدركة ، أى زمانية؛ بمعنى أن الحقيقة لا تخرج عن الإطار الزمانى التاريخى الذى نحن فيه، ثم هى تقع ضمن مجالنا الأدراكى؛ أى هى فكرة أو شىء قابل للإدراك، وإذا لم تكن كذلك فهى غير موجود (PP452).

وعليه فإن كان الإدراك هو الذى يؤسس فكرتنا عن الحقيقة، فإنه يجب القول أن الحقيقة غير منفصلة عن اللاحقيقة: فالحقيقة هى لقاء عابر للفكر مع نفسه، وهذا اللقاء لا يتم فى جوار ذات مفكرة أو محايثا لها، بل يتم فى زمان حقيقى هو الذى يتحكم فى كل شىء (PP451) وذلك عن طريق محاسن التعبير الذى يستطيع دمج الماضى فى الحاضر، ويفتح المستقبل.. وبالإضافة إلى ذلك، الحقيقة هى رفض للرسوبية التى تعنى أن الماضى ماثل فى الحاضر ومترسب فيه. هذا ويميز ميرلوبونتى بين نوعين من الرسوبية: الرسوبية العلمية التى تراكم الإبداعات وحتى النظريات والصياغات القديمة، وتتجاوزها لرسم التقدم أو التطور، ورسوبية الفن التى تسقط بمجرد أن تتم.

هذا وفى ملاحظاته حول «أهل الحقيقة» يذهب ميرلوبونتى بفكرة الحقيقة إلى أقصاها عندها يؤكد أن لديه يقيناً - غير مبرر - أن هذا العالم المحسوس هو قاعدة كل تصور للحقيقة (VI27).

الحياة: Vie

فى كتاب «فينومينولوجيا الإدراك» يشير مفهوم الحياة فى البداية إلى «عالم الحياة» بالمعنى الذى كان يستعمله «هوسرل» ذاته؛ أى الحياة «الطبيعية» فى العالم أو الحياة «اللاتأملية» . أما فى «بنية السلوك»؛ فالحياة تشير بالأساس إلى معنى الكينونة بالنسبة للحى. لكن هذين المفهومين يتحاوران ويتواصلان: فالحياة اللاتأملية للوعى هى كذلك حركة الوجود (PP466).

هذا ويثور ميرلوبونتى على التفسير الآلى العلمى للحياة، حيث يرى أن العضوية الحية يمكن اعتبارها بشكل من الأشكال كبعد من المادة أو كتجميع لأجزاء حقيقية فى المكان (SC 204) ، ولكن لن تكون تلك هى العضوية الحقيقية؛ لأن

الظاهرة الفريدة التى تختص بها الحياة هى فى قدرة هذا الجزء البسيط من المادة على الحركة وعلى الانقلاب على ذاته لتأملها ، ثم التعبير عن شىء ما، أى إظهار كائن داخلى (SC 218) وهذا ما لا تملك التفسيرات العلمية تفسيراً له؛ فالحياة تتجاوز بكثير البعد الفيزيائى - الكيميائى الذى حصرها فيه التفسير الميكانيكى . فالعضوية فى أساسها بنية، أو فكرة غير قابلة للانقسام تشكل وحدة هى معنى وجودها وحياتها؛ وإذا تجاهلت البيولوجيا هذه الحقيقة فإنها لن تستطيع الإدعاء بأنها علم الكائن الحى.

الظواهرية: Phenomenologie

يضع ميرلوبونتى مشروعه الفلسفى ضمن إطار المذهب الفينومينولوجى لهوسرل حيث يؤكد أن : « كل جهدنا هو من أجل إعادة اتصالنا الساذج مع العالم، من أجل إعطائه فى النهاية وضعا فلسفياً»(PPI) . ومن أجل الوصول إلى ذلك يجب أن نضع جانباً كل ما أنتجته العلوم، أى التراكم المعرفى العلمى، لأنه تعبيراً ثانياً أُسِّس على دراسة العالم المعاش وليس العالم فى حالته الأولى (PP III) وكذلك الأمر بالنسبة للتحليل التأملى الذى يجب طرحه جانباً هو الآخر؛ لأنه عوضاً أن يقدم لنا تقريراً مفصلاً وأميناً عن تجربتنا فى العالم يذهب إلى البحث عن شروط إمكان الموضوعية العلمية. وعلى هذا الأساس نجد لدى ميرلوبونتى فى كتابه «فينومينولوجيا الإدراك» صراعاً بين التأمل كعودة إلى عالم الحياة، والتأمل كإنشاء أو بناء عام (PP 419).

تقوم الفينومينولوجيا عند ميرلوبونتى على إرجاع (متعالى) يقصى كل حكم مسبق على إلعالم، ويمنح القدرة على الوصول إلى الحدث ما قبل - الإمبيريقى للانفتاح على العالم. لكن ممارسة هذا الإرجاع تبقى حسب ميولوبونتى ضمن الوعى بحدوده فـ «الواقعة» و «المتعالى» لا يمكن فصلهما نهائياً . هذا الوعى بحدود الإرجاع «Reduction» نجده لدى «هوسرل» نفسه والذى تأمل ميرلوبونتى نصوصه الأخيرة بعمق وخصوصاً كتابه «الأزمة La crise» وعليه، فإذا كانت العودة إلى عالم

الحياة ضرورية كشرط مسبق للعمل من أجل التأسيس الكلى، فلأن تلك العودة ليست ببساطة مرحلة نتجاوزها فيما بعد بل هى لحظة دائمة ، إنها المنبع الأولى (Signes 133-134).

إن خصوبة الفينومينولوجيا تقوم على تجاوز نفسها إلى أنطولوجيا جديدة، لكن هذا التجاوز ما بعد الفينومينولوجيا هو علامة على عظمة هذه الفلسفة وليس علامة على فشلها حسب ميرلوبونتى.

العالم: Monde

يميز ميرلوبونتى بين العالم والكون. فالكون هو من إنشاء العلم الذى يتصوره مكتملاً ظاهراً، والعلاقات فيه محكومة بقوانين وقواعد ميكانيكية صارمة (PP 85). فى حين العالم، الوسط الذى نحيا فيه ونمارس تجاربنا وأفعالنا، هو عالم كثرة مفتوحة وغير محددة ، والعلاقات فيه محكومة بلزومية متبادلة، إضافة إلى عدم اكتماله. وعلى هذا فالعالم ليس مجرد موضوع محض لفكرنا؛ ولكنه الأسلوب الكلى لكل إدراك ممكن. ثم إن ميرلوبونتى يؤكد فى جميع أعماله على نمطين لمعنى وجود العالم: النمط الأول هو أن العالم يتميز بالاصطناعية أو التصنيع حيث يؤكد فى مدخل كتابه الذى ألفه عام ١٩٤٥ أن التأكيد على وجود العالم هو قضية لا استطيع أن أصدقها تماماً. والنمط الثانى هو الفردية أو التفرد، حيث يسند ميرلوبونتى للعالم الفردية ويعتبره فرداً كلياً يحوى كل شىء ويجمع بين ثناياه المفرد والجمع بحيث لا نستطيع أن ندرك ولا أن نفهم شيئاً خارج اطاره (PP468).

العدم: Néant

إن فكرة العدم ضرورية فى التعبير عن ظواهر العالم: « هناك شىء ما، مزيج من الوجود والعدم» (PP 55) وكذلك ضرورية فى التعبير عن وجودنا الخاص الذى ليس هو عدما محضاً دون أى بعد أرضى (PP 248) ؛ ولكنه وجود جسدى ناتج عن عدم فعالّ.

إن الفينومينولوجيا عند ميرلوبونتى تدمج العدم فى تكوين العالم وحتى فى وجودنا؛ وتعيد طرح الفكرة الديكارتية التى مفادها أنى أنا كموجود وسط فاصل بين اللّه والعدم. لكن ميرولوبونتى يعتبر المفهوم الديكارتى للعدم مستمداً من المفاهيم الثيولوجية خصوصاً حين ينفى عنه الخاصية الأنطولوجية ويعتبره لا شيئاً، ويفضى، فى نظر ميرولوبونتى إلى العدمية؛ لكن فى المقابل فإن اعتبار العدم مسألة أنطولوجية لا يعنى وضعه كمبدأ مستقل فى مواجهة الوجود أو مقابلاً له كما فعل سارتر ، بل هو اعتراف بوجود سالبية «Negativite» باطنة فى الموجود (VI257).

الفكر: Esprit

فى «فينومينولوجيا الإدراك» يعطى ميرلوبونتى معنى للفكر يجعله ملازما تماماً لمفهوم الطبيعة ومفهوم الجسد. فإذا كانت الطبيعة تشير فى الإنسان إلى الوجود كمعطى بذاته عن طريق الولادة وبالتالى تشير إلى قطب من الانفعالية أو النوم، فإن الفكر والذى يسميه ميرلوبونتى «البنية الميتافيزيقية للجسد» يشير إلى الإنتاجية، وخلق المعانى، والقدرة على الانفلات، وحرية عن طريقها يتعالى الوجود ويبدع نفسه. لكن منذ ١٩٤٧ يعطى ميرلوبونتى معنى للفكر قريباً من المفهوم الهيغلى «فكر مشترك» حيث فى كل لغة هناك فكر مشترك أو عام يتكون عن طريق الحياة المشتركة مثل موضوع معين أو مشروع أساسى (SNS108) . وفى أعماله الأخيرة يتداخل هذان المفهومان: فالفكر من ناحية هو «المثلية واللامرئية» (CN290) وجسده هو اللغة؛ التى بدونها لن يوجد، ومن ناحية أخرى هو «نسق حركى بينذاتى» (Système diacritique intersubjectif).

الفلسفة: Philosophie

إن الفلسفة حسب «فينومينولوجيا الإدراك» لايمكنها اليوم أن تدعى امتلاك الحقيقة كما فعلت العقلانية الكلاسيكية ، ولا يجب أن تقبل أن تنفى نفسها بنفسها بانغلاقها داخل نسبوية (Relativisme) قائمة على فكرة هدم الحقيقة.

إن مهمة الفلسفة حسب «فينومينولوجيا الإدراك» هى العودة إلى العالم قبل بداية العملية المعرفية، أى قبل قيام أى معرفة، لكن ذلك لا يجب أن يخلط مهمتها مع المباشر أو المعطى الأولى، بل ما يعنيه ميرلوبونتى هو الوصول بالتجربة إلى فهم معناها الحقيقى والتعبير عنه. فالفلسفة إذاً بهذا المعنى تأمل، لكنها تأمل جذرى يمارس التأمل حتى على فعل التأمل ذاته (PP 75) . إن الفلسفة تعيدنا إلى اللحظة الأولى الخالصة عندما تم الاتصال بين الوعى والعالم قبل أن تتدخل «الموشورات» (Les prismes) التى تحدد الرؤية، وتوجهها، وتشوهها. تلك المؤشرات هى معارفنا العلمية، وأفكارنا، وتصوراتنا القبلية عن العالم. ومن أجل أن تصبح الفلسفة كذلك يجب أن تتخلى عن اعتبار نفسها مجرد تقنية أو مبحثا ضمن مباحث أخرى، بل يجب أن تعتبر نفسها مطلقة تتجاوز الجزئى والظرفى(PP75).

ورغم ذلك تبقى الفلسفة الحقيقية هى تلك التى تعرف كيف تبقى إلى جوار اللافلسفى. هذا الأخير الذى يعتبر المنبع الذى تنطلق منه الفلسفة كى تطرح مشاكل الحرية والتاريخ فى حالتها الأصلية الأولى: إن الفلسفة هى الانتقال من اللافلسفة التى كانت قبل الفلسفة إلى اللافلسفة التى بعد الفلسفة، وبالتالى فالفلسفة هى حوار دائم بين : الوجود والعدم، والمرئى واللامرئى، المحسوس والمعقول، الظاهر والباطن. . . إلخ.

الكوجيتو: Cogito

إن التفكير فى الكوجيتو يستحوذ على كامل أعمال ميرلوبونتى؛ حيث التفكير لديه (الذى يعتبر الكوجيتو صيغة المثلى) هو الشهادة الفلسفية على حقيقة التجربة، فالكوجيتو لا يشير إلى الإنسان كوعى أو ذاتية، وإنما يشير إلى البعد الذى تأخذ فيه الفلسفة معنى التجربة.

اللامرئى: Invisible

يطلق ميرلوبونتى هذا المصطلح على حامل باطن للمحسوس؛ والذى يظهره المحسوس كما يخفيه فى آن واحد (VI 195) . إن اللامرئى هو الذى يعطى

للمحسوس والمرئى معناه ؛ لأن الحضور المفعم بالمعنى للجسد - مثلا - لا يكون فقط عن طريق المحسوس الموصوف كشىء أو كموضوع لأنه حينئذ لا يحمل أى معنى، بل يتدعم ويزداد دلالة ومعنى عندما يحضر اللامرئى على شكل إيماءات يخفيها الجسد ولكنها هى التى تضفى عليه معنى؛ فالمعنى لا يكون إلا ضمن مفارقة تتمثل فى إيحاء الجسد بغياب ما (S217).

اللوغوس: Logos

إن هذا المصطلح الذى يعنى فى اللغة والفلسفة اليونانيتين الكلام الإنسانى والتشبيك المعقد (المحسوس - المعقول) المتعلق بالعالم الخارجى يستعيده ميرلوبونتى كى يعنى به أن معنى الوجود لا يمكن حصره فى عقل يحتوى بشكل مسبق كل المعارف التى نكتشفها فيما بعد؛ ولا عملية ذاتية متعالية تنشىء العالم وتكتشف ما وضعته هى نفسها..

هذا وفى «فينومينولوجيا الإدراك» ينفى ميرلوبونتى أن تكون مهمة الفلسفة هى الوصول إلى عقل كامن فى الأشياء مسبقاً؛ والذى هو هدف كل عقلنة ، بل يؤكد «أن اللوغوس الوحيد الموجود مسبقاً هو العالم ذاته» والفلسفة هى العمل الذى بواسطته نستوعب هذا العالم غير المكتمل من أجل محاولة تعميمه والتفكير فيه . . ويؤكد ميرلوبونتى كذلك على محايثة «Immanence» اللوغوس للعالم حيث لا يفرق بين مظهره ومعناه، وذلك فى مقابل فلسفة الوعى التى تؤكد على استقلال اللوغوس (PP85).

المكان: Espace

يميز ميرلوبونتى فى «فينومنولوجيا الإدراك» بين مكان وجودى، أنثروبولوجى ، أو معاش؛ والذى يعد كذلك مكاناً للخرافة والظلام، ومكان «طبيعى» هو المكان المضىء للإدراك (PP332) والذى سيصبح بعد تمثل هندسى المكان «الحقيقى الوحيد والموضوعى (PP335)» وكل مكان هو بالنسبة للآخر أساس ومؤسس: فالمكان الوجودى يؤسس المكان الطبيعى، المكان الحقيقى ، الموحد والموضوعى، والعكس

صحيح؛ لأن المكان الحقيقى الوحيد والموضوعى هو الأساس العقلانى للمكان الوجودى؛ حيث المكان الطبيعى للإدراك هو القاعدة الدائمة للمكان الوجودى . لكن رغم هذا التأسيس المتبادل فإن الأمر فى النهاية يؤول إلى الموضوعية التى تمثل فى الآن نفسه الأرضية لكل مكانية والمعنى الحقيقى للمكانية.